الناقد
العدد رقم 15
1 سبتمبر 1989

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بغدادات

حـكمـت الحـاج

■ . . هذه زمالة في منطقة البروج حيث نام خليط من المسـافـرين تحت نسيم الوسط القارص كمتاع سلس تلوح فتنته في الزوايا وترامى لوح القريحة حين رآه يخدم بقلبه لا بيديه فقط بالجسد والكد وماءِ زمزمَ سَمَّمَ على وجه الله كلاماً عمومياً جائزاً أو فرجاً رحيماً وأولى أولي الرَّجم منهم بقيد النظر غياهب عبدها حتى لا يقوم بخـدمةَ الجهبذ حينما تكون المسائل واهية ونحن دائماً نعودُ لنتَحَمَّمَ بمائها نفسهِ وبكتابٍ ما لا نأمنهُ أبداً، نَعمْ!

لقد نقلوا من البلد الى البلد شاماناً على خاطر صحيح لا يني يحلف أنـه خاطيء ويبصر هذا السَّـطح فيروح يصلي ويجيب إذا كم من لَكْنَةٍ هي مضمومة وكم رآني ◁

عالم في صبيحة هذا الباب وأنا أحاول أن أنتظر ما أمكن
صاحبي المسافر معي الى المدن الكبيرة لا لنفعل أي
شيء بل لنخطو خطوة نحو الطريق الحَقِّ لمحتهُ جالساً
وكان إسمه عامُوس وهو وَالٍ قديم في قبو طويل
وأحسستُ أنَّ قلبي قد جاءني وانه يسعى الى متاعي
يطلبه ويجمع الناس حولي هكذا ليفضحني
قُلْ لي
هَل نسرقَ فرساً من خرابتنا كي نقول لنا فرس في دفَّة
الطير أم نلبس قبعة الاخفاء لندفع تحت جناحنا بأكبر
قدر من السُرَّاق والخطّافين لينصبوا تكايا الحريم؟
هذهِ كسوةٌ يغطيها ريش جبال النار وكلام منظوم قُدَّ من
ناس تلاقوا معكم مرة بعد نهار على جناب العادة قبل
ساعات قادمٌ للعين من «هَجَرْ» وأمام البابِ يموت على
بعد سبعة أشواط نحو اليمين
من رآه بجروحه التسعة يمشي على غفلة من الطَّير حيث
بصوت هو صوتك يتكلم نحوهم هربوا خِفافاً وجرينا
وراءَهم بالحجارة تدرك روحهم تحت هذه التينة وكان في
نِيَّتي أن أشرب في غرضك وأنزل لأقطع له طوله
ولأخضعَ له بعد أن أترك حجوله متروكة ما لها أحد في
الدنيا
انه مديحي يضعف وعودي ينزلق وانت تتهدَّن مثل
الرَّشيف قلبك يرتمي على دُمَّلَة السَّلَم نحلة فاسدة
ضارُّوها جاحدونَ آلاءَها الى أين تودي هذه الطريق؟
تطلبُ أن أدليك ونجمك غائب عن سهمك في شجرة
مريام
عاموس يا صاحبي تستمع الى الموسيقا وتقعد قبال
التخت وحدك تتمايلُ وأنا تحتَ تينةٍ فاتنةٍ تَصَنَّتُ الى
ضَعف يثقل نطقه قبل أن تسهل موافقة صاحب يُدانِش
عامك بماءٍ يجري تحت أقدامٍ من العاج ففرح البستانيُّ
من جَراءِ شراءِ هذه السِّدْرَة
هل اشتريت داراً فيها حديقة وأطعمتَ الماعون لتسلك
عقد الشَّطارةِ وتحكم لنا بالدار؟
إنها بلادٌ ما يليقُ بها غير عسكر ينصبون فسطاطهم بيتاً
فبيتاً
وكنا نستعجبُ: كيفَ يضعونَ المِسكَ على شَواربهم
ونحن نعملُ في قضيةِ هذا الراعي رآنا سالكينَ درباً
فقالَ حاجتي معكم وصارَ يطعمنا وعلى تلكَ الشاكلة
واحدٌ من علماءِ الروح اكترى أرضاً ومَضى بهِ وَثَبَّتَهُ
عليها عندكَ ثلاثون سنة وخاطر خفيف تحركُ الكاعوبَ

على النارِ لتهيِّج السَّحرة وتؤجج سَرَباتِ موتهم لكي
تخرج فلاحة من روحها مدهوشة حائرة
بعونهِ يا هذا سنعاونكَ فَقُمْ هل هذا عقاب أم ريشة في
سلة الشَّك!
أهذهِ شوكةٌ أم مِهماز!
أهذا ثوم مسن أم جناح في جهة المحبوب؟
أم قريب يصفع قِطّاً قد اشعل قمراً ذاك الزمانْ؟
تتحرَّشُ بالناس يا صاحب الحجر الذي من يد ويا
حبيب التفاحة
كلام حبيبك يبكي عدوك وعلى فتيلةِ الروح الرفيعةِ قلع
الخُطَّاف
خرافة شقائق النعمان
يا هذا!!
الزَّنَّانُ كيف يثوب انه يهزُّ أكمامَهُ على شيح عجوز فكيف
في ظلِّ عشبة رديئة أن نُسيء اليه
الزَّنَّانُ ننكَأُهُ ونأخذهُ في سفرنا ليطردَ زخرفة السَّقائفِ من
إزار هو سلسول خيل بموجب خيطين من السماءِ فأيَّةُ
آياتٍ تَنَزَّلُ عليه لترجمَ حَيَّةً خضراء هي الاخرى ما زال
زرعها وجلدها زجاج ولا كأس ثالُوثَةٌ في جبل زكروم
وعندَ العشية حَدُّورَةٌ ويقطُورُ
هذا هو الحقُّ
حَقُّ الله
حصرم وزبربور وفضة مُشَكَّلَة بالذهب مثلما هو مُخَرَبَشٌ
ومسوس ومُزَيَّتٌ باليوميِّ دودةٌ في جرابَ دينٍ غارقٍ في
جَنَبَاتِ المَعيشةِ ماذا سَأفعلُ وأنا حَقَانيٌّ أبحثُ في أرثِ
الحريرِ أجري وَثَناً وَآكلُ أطرافي ويبدأ الخماسين يفعل
شلوقاً يَاخذُ بثارهِ وربك جابك تمرضُ بعرقِ النساءِ عَبَّادٌ
جئتَ من «هَجَرْ» على عذاري قتال كذا خفَّة وكذا قطيفة
وكذا كثير الشعر مثلَ وحشٍ تباع رخاصاً نهار الجمعةِ
هِل أرضك أرض مليحة وترابها بايت؟
يا حلاَّب طملة غارق وتدردخ جفنك على فسقية واسعة
يتمرَّغ بها نسر كبير عنده بَغَاشَةٌ وعقاب زكطيٌّ وقت
القيادَة يروح السلوقيُّ يتصرفُ
يا عاموس: ما يدوم شيءٌ على حاله مثل تبديد الدواليب
ومثل ماعونٍ من القُرغل سيرٌ على بلاد من الفخّار فهيا
لنشكر زَوَّاخاً قد إدعى بروحه وَزَلَّلَ بالكذب شغله تُخَلِّي
هؤلاءِ يشكروك هل لازم أن يقضوا الحوايج بالرمل ولا
أن يعبروا خمسين خمسين في الطِّراد وهل لازم هذه النفخة
الكُبْرانيَّة فأي مخلوع ببروجهِ عَظَّمَ شَانَ الحساب وسَدَّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجه المكحلة لهو شجاع في الباطل واستقام تَوَّاً على الصخرة
أيُّ شيء يكون أحسن من سفينةٍ تتمارض قدَّامَ أمواج شائخة
لبعضهم زَرائبُ عَرَضية ولبعضهم شكوى واحدة منحوسة يظّلون يطالبون بدغبوجة ويقولونَ هَيتَ لك ويُردى وحيداً على بلاط بلا قبول ولا أنثى ولا بَدن يَسدُّ بالمقلوب ثقوب البنيان
بَلى،
لقد بانَ فحواي فهل أحشو ضربتي لأبَيِّنَ حبر العلام في مجراه حافرا ما يكفي لسحب الهواء فوق الصدقات فما هو عزيز يطيح من فوق الدفوفِ أسْكُرناج يُفلِّي في القملِ على المحبوبة الواضعة أصباغا من عصارة لوتس أزرقٍ على سنا شعر كبير البوذيين
ممنوعون من الزَجَر نستميل القربات الى جسد يرتشح تحت المطهر كالقبة المُخَمَّسَة دسائس ايقاعنا عواثير تصطاد بابناَ بحبلَين من الرباعيِّ الحامض لكنه هو الذي بدَّل أسْكُفَةَ البابَ ببهاء مفضوحٍ وانبثَّ الخبر: واحد زرع وطناً في نسيج اعضائه وحمل من مكانٍ الى آخر حفنة من نفس زكيَّة هي سورة بنيان مرصوص غداة غزا الضربان كَراريس الدراسةِ وأحيوا صوت ضمير الذِّمَّة في صدر من لا أمةَ لهُ بل يؤثرُ تواترَ الرمي عليه مُستوبدٌ يختمُ بالطين يَباباً ونفسهُ هَيَّاجَةٌ تهتال وماله يد عليها لفقرها ولقلة ما قَدَّمَتْ يداه ميطاءتان خفيفتان أعزَّ من وشايز مبثوثة على توريش دروع أبي الحَسَن يومها سأقومُ بواجب في حقك لأستوثق من هَيَتَان عاموسَ إذْ هَيَّتَتْ له هكذا الى هلمَّ انهَقعْ يا مَهكوكُ انتَ هفوان تُهرطس وتَصرُّ على مهزاق روح المباذل والهزابرُ الهُوارية تهرضُ هَداكَ الله هرض الأهداب يوم النائبات الذي من نفاق الأشقياء نوافل وفروض لموت الصاحب حيث القهوة والنفيجة ونعايم المِلَّة. ومنهم من كان مال الى قتله فأقاموا ببعض المياه خوف مُونات الطراد عند واحد مايق يقدر الموجة في ركوبها وهبوبها منجنون يرمي اليكم بتلك «المَنَسَّماوَات» واقفاً على أول الصفِّ حديثهُ بارد وآخذٌ من الفواكه المَلذاءِ تفريطها في الذي مَلاَّكَ اللهُ من خُرْجِه مَلْياً ملوكياً فأعجفه مَطِيَّتَكَ ورَسِّها لقد كَلَّ مَتنها أنتَ نصرانيٌّ وقلبكَ مَارِستانٌ وحريمك استمرارُ الصَّحو وَمَدَايدُ لِخُوص العَسكرِ وَعَمّا قليل يَثوب السَّلجان الى القضاء اللَيَّان ذَات ليلةٍ صَهَّانِيَّةٍ ماتت من دلج النجوم بالزهار ثم أَلْيَل السبت على ليقةٍ مِسْكيَّةٍ لَسْ توذي بل تموت قبل يوم «يا ليتني شاخصٌ» وبعدَ نهارٍ «يا رَيتني أعصَلُ»
أَلَستَ بنـاحِرهم وتلكَ أقـوابسٌ بمعنى لستَ تجهلهُ فَفَرَّيتَ أُلويات العهدِ مُلتاثاً ولو دُفعَ اليزيدُ اليهم ما قتلت أم الخَليقَةَ عبدها كما لو أن أهل القرى آمنوا من وراء المال والحُجُرات تضرعنا وقلنا لولا يكلمنا كنا نتَّلح آثار الطريق تحتَ لكَيك المُوشَّق يُلاكِزُ أصدق اللقيا لعوبٌ بالأسِنَّة ألطافُ لَخَانيق وتَلاحينُ مسكيةٍ هاذها ألحمَتِ الحربُ فلا تكونَنَّ جُلواً فتُسترَط بل كحايل ومُزَمِّل قَلانس مُقَعثِلٌ قُفطانَهُ بفَطيم وَقَصَّان وعليك قدرة حرث تزويجة قَنبيطيَّة وَلِم بالسؤال تنطق علينا وتري هاك العواج وهاك تَغميص حتى ولو عاف العياهير مرميَّة من العشيَّة لحدِّ العجاريف كان طنفشاء الضرائر وباقي المصاير النحويةِ وغير نواحي مسك الهنداز الوثَّاجة تدق وتضربُ ديفةً بدرعها وتقول طاب الخبا في الأوطان وَيكَ أيش الجَزاءُ يا عاموس! □

الناقد
العدد رقم 15
1 سبتمبر 1989